تحديات ما بعد التهدئة المؤقتة

د. محمد السعيد إدريس

صدمتان "إسرائيليتان" لن تمرا بسلام على قادة الكيان الصهيوني من سياسيين وعسكريين. الصدمة الأولى وقعت في اللحظة ذاتها التي جرى التوصل فيها إلى اتفاق التهدئة المؤقتة في القاهرة ولمدة ثلاثة أيام ابتداء من صباح الخامس من أغسطس/آب الجاري . ففي تلك اللحظات التي كان يروج فيها قادة الكيان لانتصار مزعوم حققوه في قطاع غزة شهدت القدس المحتلة عمليتين جريئتين من جانب مواطنين فلسطينيين استهدفتا عناصر "إسرائيلية" تعبيراً عن تواصل الدم بين القدس والضفة وغزة، وأن القدس هي من تحمل إشارة المواجهة عندما تتوقف أو تصمت المدافع والصواريخ مؤقتاً في غزة، في العملية الأولى التي قام بها قائد شاحنة فلسطيني دهس بها تجمعاً ل "إسرائيليين" قتل أحدهم وجرح خمسة واستشهد الشاب الفلسطيني قائد الشاحنة، وفي العملية الثانية جرح ضابط "إسرائيلي" في إشارة عميقة الدلالة مفادها أن ما حدث من جرائم "إسرائيلية" ضد قطاع غزة استهدف فرصة السلام "الإسرائيلي" بكل غطرسته على الشعب الفلسطيني فلنا من المحتلين أنهم أخضعوا الضفة وهوّدوا القدس ولم يتبق غير قطاع غزة القادر على رفع صوت الرفض لهذا السلام، وأنهم بعدوانهم على القطاع سوف يجعلون منه كياناً عاجزاً غير قادر على تهديد الأمن "الإسرائيلي" فجاءهم الرد من القدس ليقول إن القدس عربية وستبقى عربية ولن تهوّد ولن ترضخ أو تستسلم، وأن هروب "الإسرائيليين" من خطر تصعيد المواجهة في القدس، بعد جريمتهم مع الفتى محمد أبو خضير الذي أحرقوه حياً ومثلوا بجثته، إلى قطاع غزة ليدفع القطاع ثمن اختطاف وقتل ثلاثة مستوطنين في مدينة الخليل بالضفة الغربية، لن يثني القدس عن الثأر، ليس للشهيد محمد أبو خضير فقط، بل وكل شهداء فلسطين وعلى رأسهم شهداء وجرحى ومصابو قطاع غزة، بل الأهم هو أن القدس سوف تبقى شعلة انطلاق المقاومة وتجديدها ضد الكيان في عموم فلسطين .

الصدمة الثانية جاءت في أعقاب انقضاء زمن التهدئة المؤقتة التي جرى التوصل إليها في القاهرة عندما انطلقت الدفعات الأولى من صواريخ المقاومة في تمام الثامنة من صباح يوم الجمعة الفائت (8 أغسطس/آب الجاري) عقب انقضاء حملة ال 72 ساعة بعد فشل مفاوضات القاهرة غير المباشرة، بين وفد التفاوض الفلسطيني والوفد "الإسرائيلي" بوساطة مصرية في التوصل إلى اتفاق يرضي عنه الفلسطينيون كأساس لتهدئة طويلة تصلح أساساً لتجديد مشروع التسوية المجمدة .

استهدفت الدفعة الأولى من صواريخ المقاومة ما يوصف ب "غلاف غزة" أي المناطق "الإسرائيلية" القريبة من الحدود مع قطاع غزة، في إعلان صريح لانتهاء الهدنة، ثم أعقبتها موجات أخرى من قصف صواريخ المقاومة إلى مدى أبعد استهدف أسدود وعسقلان، البعض اعتبر أن هذه الصواريخ وما ترتب عليها من قصف "إسرائيلي" وغارات جوية "إسرائيلية" كانت بمثابة استكمال للمفاوضات التي تجرى في القاهرة لكن بعيداً عن طاولة المفاوضات وبأدوات ووسائل أكثر حسماً، لكن القراءة الدقيقة تقول إن المقاومة أرادت أن تصدم وعي الشارع "الإسرائيلي" وأن تكشف زيف ما روجه قادة الكيان من أكاذيب عن انتصارات وهمية وقضاء على كل مصادر تهديد "إسرائيل" من قطاع غزة، فقد روج القادة السياسيون والعسكريون لأكاذيب تقول إنهم حققوا ردعاً سيمنع المقاومة وحماس من كسر هدوء "الإسرائيليين" لسنوات مقبلة، على نحو ما جاء على لسان رئيس الأركان بني غانتس بقوله: "إننا حرمنا "حماس" من قدرات استراتيجية في مجال الصواريخ والأنفاق ومقار القيادة والسيطرة وانتاج وتطوير وسائل القتال، لقد تكبدت حماس خسائر فادحة جداً، ولن نتردد في استخدام القوة كلما تطلب الأمر لضمان أمن المواطن . لقد اجتزنا المعركة جيداً، ومثلما كان الهدوء سارياً في الماضي سيسود هنا هدوء أكبر بعد الآن". أما بنيامين نتنياهو فكان قد أعلن في مؤتمر صحفي كلاماً مشابهاً قال فيه: "إن الوضع الأمني لسكان الجنوب بات أفضل وأشد أمناً مما كان قبل العملية".

مبادرة المقاومة بقصف المناطق المجاورة لقطاع غزة بدت كل أوهام الأمن والتهدئة، لكن وفضلاً عن ذلك أعادت ترتيب أجندة مفاوضات القاهرة من جديد، وأنهت محاولة إملاء الشروط وتعمد الهروب من دفع ثمن العدوان من جانب الوفد "الإسرائيلي"، وأكدت أن المقاومة جادة هذه المرة في أمرين، أولهما وحدتها النضالية، وثانيهما المطالب المشروعة والعادلة التي جاءت بها وأن المعتدي يجب أن يدفع ثمن جريمته، وأن التهدئة والأمن لن يكونا أبداً ل "إسرائيل" على حساب أمن ومستقبل الشعب الفلسطيني، وأن على "الإسرائيليين" أن يكونوا واعين بأن الأمن يجب أن يكون للجميع وليس ل "إسرائيل" فقط، وأن التهدئة يجب أن تكون حقاً للجميع وليست ل "الإسرائيليين" من دون غيرهم .

السؤال الآن هو: وماذا بعد التصعيد؟ وكيف سيؤثر في مسار ومستقبل المفاوضات التي تجرى في القاهرة؟

فقبيل انقضاء موعد التهدئة المؤقتة، كانت المفاوضات متعثرة في القاهرة حسب ما أوضح سامي أبوزهري المتحدث باسم حركة "حماس" الذي أعلن أن "الوسيط المصري قدم ورقة خالية من الإجابة عن المطالب الفلسطينية، بما يعني رفض الاحتلال موضوع المطار والميناء والإفراج عن المعتقلين، فيما سمح بالصيد فقط ضمن نطاق 6 أميال، وبقاء الشريط الأمني العازل" . كما أوضح أبوزهري أن الاحتلال ما زال يتحكم في نوعية البضائع التي يمكن أن يسمح بدخولها للقطاع عبر المعابر، وهذا كله يعني أن "إسرائيل" تتهرب من القبول بأية مطالب للمقاومة .

هذا الرفض "الإسرائيلي" يرتكز على مجموعة من الرهانات أولها، أن ما هو موجود الآن من تماسك في مواقف وقد المقاومة المفاوض في القاهرة سوف ينهار عاجلا أم آجلاً بحكم ما يتصوره من خلافات مصالح عميقة بين السلطة ومن ورائها حركة "فتح"، وبين حركة "حماس"، لكن هذا الرهان ثبت فشله، على الأقل حتى الآن، وما جاء على لسان عزام الأحمد القيادي البارز في حركة "فتح" رئيس وفد فصائل المقاومة في مفاوضات القاهرة يؤكد ذلك حيث إن "المطالب الفلسطينية لوقف إطلاق نار دائم واضحة، ولايمكن التنازل عنها، خاصة ما يتعلق بتشغيل ميناء ومطار غزة"، وقال: "نحن لم نطلب أي جديد إطلاقا، وبالتالي ليس من حق "إسرائيل" أن تقول هذا مسموح وهذا غير مسموح كما اننا نقدم مطالب تتعلق بوقف الحرب"، ونوه بانه كان هناك مطار في غزة يعمل وطائرات تحط فيه بموافقة الحكومة "الإسرائيلية" وفق اتفاق أوسلو للسلام المرحلي، كما نوه بأن الرئيس الفرنسي الأسبق جاك شيراك زار غزة عام 1999 حيث شارك في قص شريط بدء العمل في ميناء غزة، وتساءل الأحمد عن سبب منع "إسرائيل" تشغيل ميناء غزة حتى اليوم وهو متفق عليه منذ نهاية عام 1999؟ لكن لم يكتف بهذا التفنيد بل قال بوضوح وصراحة: نحن لا نرغب في التصعيد لكن من حقنا أن ندافع عن أنفسنا".

ليس هناك دليل أوضح من ذلك على فشل المراهنة "الإسرائيلية" على تفكك صمود وحدة الفلسطينيين أمام هذا العدوان، رئيس الوفد أوضح بالدليل القاطع أمرين أولهما: إن مطالب وفد المقاومة مشروعة وليست بدعة بل هي نصوص متفق عليها مع "الإسرائيليين" يريدون التهرب منها وطمسها، ثانيها: الإصرار على الدفاع عن الحقوق، وبالتالي فإن المفاوضات من جانب الوفد الفلسطيني في القاهرة لن تكون بمثابة إعلان بانتصار العدوان والتفريط في الحقوق والاستسلام لهزيمة لم تحدث .

أما الرهان الثاني الذي فشل أيضاً، فهو رهان كسب الردع القوي ضد قطاع غزة والترويج به لانتصار مزعوم يبرر العدوان، فمبادرة المقاومة بالرد وضعت نهاية مبكرة لهذا الرهان ونجحت في تعرية فشل القيادة "الإسرائيلية" في الاجابة عن السؤال: لماذا كانت الحرب على قطاع غزة؟ وماذا تحقق من نتائج؟

فقبل القبول بخيار التهدئة المؤقتة كان أمام "الإسرائيليين" خيارات محدودة لإنهاء حرب وصلوا إلى قناعة بأنها "حرب فاشلة" كان في مقدمتها خيار إنهاء الحملة من طرف واحد على نحو إنهاء حملة "الرصاص المصبوب" عام ،2009 أو الوصول إلى وقف نار متفق عليه والوصول إلى ترتيب على نحو ما حدث بالنسبة لعدوان "عمود السحاب" عام ،2012 وكان هناك خيار ثالث نظري هو تعميق التوغل البشري في عمق القطاع لكسر خيار المقاومة، أما الخيار الأخير فكان التورط في احتلال قطاع غزة، ولم يجدوا غير خيار الانسحاب من طرف واحد تحت زعم أنه يحمي من دفع أثمان لا يريدونها، وهذا ما يحاولونه الآن في مفاوضات القاهرة .

ارتكبوا الجريمة ويريدون الهروب، لكن تماسك الوفد الفلسطيني وجدية المقاومة سوف يضاعفان الأثمان، فصراعاتهم الداخلية أثمانها باهظة وتفوق بكثير ما يمكن أن يدفعوه للعرب من ثمن، والحرب النفسية التي يقوم بها الإعلام "الإسرائيلي" الآن لتزييف الحقائق المرة للعدوان وتصوير الهزيمة انتصاراً بددتها صواريخ المقاومة، ويبددها صمود المفاوض الفلسطيني، لكن هذا كله ما زال في حاجة ماسة إلى الحاضنة العربية القادرة على رعاية هذا الصمود وتطويره إلى مقاومة تجدد خيار المواجهة مع العدو في ضوء تجربة غزة البطولية في الصمود والمقاومة وتجديد أمل التحرير الموعود .

نقلا عن «الخليج» الإماراتية

حروب التدمير والتشويه

عبدالعزيز التويجري

تموج المنطقة العربية بحروب مدمرة اختلط فيها الحابل بالنابل والحق بالباطل والحقيقة بالافتراء. واتضح لكل منصف غيور على هذه الأمة ودينها ووجودها ان الوضع بكل تعقيداته وتطوراته امر مخطط له تقف وراءه قوى حاقدة تسعى بلا كلل ولا ملل الى تفجير المنطقة دينياً وثقافياً وأمنياً ومن ثم تنموياً حتى لا يبقى للعرب، مسلمين ومسيحيين، اي وشيجة تربطهم او لحمة تجمعهم او كيان يحميهم، ويعينها في تحقيق اهدافها الشريرة بعض ابناء العرب والمسلمين بوعي او بغير وعي.

فما يجري في سورية والعراق من تطرف وطائفية وارهاب وسفك للدماء وتهجير للمواطنين على اختلاف أديانهم وطوائفهم وتدمير للتاريخ وآثاره وما يجري في ليبيا من اقتتال عشائري مدمر هو بلا شك جريمة كبرى لا يمكن ان يخطط لها عربي او مسلم يعتز بانتمائه ويرتبط بقومه، لأنه لا يعقل أن يدمر الانسان نفسه ووطنه وأمته الا اذا كان مصاباً بلوثة في عقله او ان يكون مستخدماً من جهة متآمرة غررت به وزينت له سوء عمله.

لقد تحول ما سمي بالربيع العربي، تمويهاً وتدليساً، الى خريف ملتهب يحرق الأخضر واليابس ويعصف بالاستقرار وبالديار ويدمر الوشائج بين أبناء الوطن الواحد قبل ان يدمرها بين أبناء الأمة الواحدة. في خضم هذه الفوضى الهدامة تعالت الخطابات الطائفية والحزبية، وانتشرت ثقافة الكراهية والتحريض والتنابز بالألقاب وكيل الاتهامات وتشويه المخالف وشيطنته، واستحضرت الخلافات المذهبية والطائفية والعرقية لتتصدر المشهد الآخذ في التصدع، ووظفت وسائل التواصل الحديثة التي يقبل عليها الشباب، مطية لإثارة البغضاء ونشر الأكاذيب والافتراءات لشحن النفوس وتأجيج المشاعر، وإشغال الشباب بالقيل والقال وصرفهم عن العمل النافع والاهتمامات المفيدة.

بل تعدى الامر هذا الحد الى ظهور مواقع الكترونية متطرفة تنشر الفكر المضلل بغلاف شرعي مزيف وتأويل قاصر للنصوص فيقع في حبائلها شباب أغرار متحمسون فتقودهم الى التكفير والتفجير ونشر الفساد في الارض، وتستمر حالة الجمود والكسل والرتابة في بعض الانظمة فلا تأخذ العبرة مما جرى لغيرها فتبادر الى الاصلاح الحقيقي ومحاربة الفساد الظاهر والمستتر، والعمل على اعادة البناء على أسس قوية من العدل والصلاح اللذين هما دعامتا الحكم الصالح. فهل كل هذا الانهيار وهذه الفوضى الفكرية والسلوكية حادث عرضي أم نبات محلي؟ ام هو في حقيقته وماهيته فعل مخطط له وأمر مدبر من جانب من يهمهم تفكك العالم العربي الاسلامي وإدخاله في دوامة الفوضى الهدامة والصراعات المدمرة؟

ان من يتامل في ما يجري من احداث دامية تخريبية وفي بروز تنظيمات إرهابية مشبوهة، وفي مسار السياسات الغربية والإقليمية وبخاصة المفاوضات الغربية– الإيرانية حول البرنامج النووي الايراني، وتدخل ايران المباشر في شؤون العراق وسورية ولبنان واليمن والخليج وبعض دول المنطقة، والعدوان الاسرائيلي الهمجي على قطاع غزة، والحملة التشويهية على المملكة العربية السعودية في وسائل الإعلام الإيرانية والتابعة لها وفي عدد من وسائل الإعلام الغربية والصهيونية، سيخرج بنتيجة واحدة هي ان هذا التوافق المتزامن في المواقف وفي الاتجاهات ليس مصادفة او وقع حافر على حافر وإنما هو انسجام في اطار استراتيجية واحدة هدفها ضرب العالم السني وإضعافه وتشويهه وتمكين إيران ومذهبها من التوسع والاقتدار، وإسرائيل من بسط نفوذها على ارض فلسطين كاملة والتطلع الى ما وراء ذلك من اطماع وأهداف في ثروات المنطقة واراضيها.

ومما يحز في النفس ويبعث على الأسى ان يحدث هذا الانهيار وتتصاعد وتيرته، والدول القادرة على أخذ المبادرة لوقفه والحد من تأثيراته متفرقة ومنشغلة بالصراعات في ما بينها والعالم السني مفكك ومتناحر في مواجهات فكرية ومذهبية عقيمة، سلفية تنطح وطائفية تقدح وصوفية تشطح وليبرالية تسرح وتمرح. وأصبح القابض على الاعتدال والإنصاف والوسط كالقابض على الجمر. أخشى ان تكون النفوس قد اصابها الوهن وركنت الى الدعة والخمول ورضيت بالذل والعجز، واذا كان الامر كذلك فهو دليل على الفتنة التي حذرنا منها الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم)، ويا لبئس المآل.

عن «الحياة» اللندنية